

أثر العمل الخيري في تعزيز القيم المجتمعية
الموصل (نينوى) أنموذجاً
أ.د. عبدالستار جاسم محمد
أ.م.د. رحاب نذير محمود

أثر العمل الخيري في تعزيز القيم المجتمعية
الموصل (نينوى) أنموذجاً

The Impact of Charitable Work on Strengthening Social Values: Mosul (Nineveh) as a Model

أ.د. عبدالستار جاسم محمد

Prof. Dr. Abdul-Sattar Jassim Mohammed

abdsattar@imamalahdam.edu.iq

أ.م.د. رحاب نذير محمود

Asst. Prof. Dr. Rehab Nadhir Mahmoud

rhabnadher@imamaladham.edu.iq

ملخص البحث:

يعد العمل الخيري صمام أمان، ومصدراً من مصادر الانقاذ للفئات المجتمعية المحرومة أو المنكوبة، إذ يشكل لها حماية وتلبية مالية، وبدنية، وفكرية، وقيمية تسهم في بث الأمن والسلامة والطمأنينة والاستقرار بين أبناء المجتمع، فيعمه الخير والنقاء، وتسوده الأخوة والتكافل. ومن هنا تناولت ورقتنا البحثية موضوع (أثر العمل الخيري في تعزيز القيم المجتمعية - الموصل (نينوى) أنموذجاً)، وقد تضمنت مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة. تناولنا في المقدمة مفهوم العمل الخيري وأبعاده وآثاره المجتمعية، وبيان مفاهيم القيم على الصعيدين الاجتماعي والديني، ثم حاجة مجتمعاتنا الإسلامية ولاسيما العربية إلى تفعيل أنشطة العمل الخيري على كافة الأصعدة. ثم جاء المبحث الأول: (العمل الخيري في المجتمع الموصل - الأسس والجذور) لبيان صور العمل الخيري وتوضيحها في مدينة الموصل موضوعة الورقة، وكيفية تطوره، بجذوره وأسسه بين أبناء المجتمع، ليبدأ من جهود فردية، ثم يتطور إلى عمل مؤسساتي منظم ومبرمج. ودرس المبحث الثاني: (العمل الخيري وتعزيز قيم الفرد) بيان الدور الرائد للمؤسسات والهيئات والجمعيات الخيرية في تعزيز قيم الفرد، وبناء الشخصية الايجابية في المجتمع، بخاصة بعد انهيارها وخروجها من كوارث طبيعية أو إنسانية. وخصصنا المبحث الثالث للحديث عن: (العمل الخيري وتعزيز القيم الأسرية) التي تلاشت بين ركام المدينة المنكوبة وحطامها بكل صورها وأشكالها، بين تشدد العصابات الاجرامية داعش، وتحت اصوات مدافع وصواريخ قوات

التحرير العشوائية، التي زرعت الرعب والخوف في كل فئات المجتمع الموصلية. ثم جاء المبحث الرابع والآخر لتحدث فيه: عن (العمل الخيري وتعزيز القيم المجتمعية) وقد خلفت معارك التحرير من عصابات داعش الاجرامية في مدينتنا الموصل كارثة كبيرة بكل مستوياتها المادية والمعنوية، فضلاً عن تهالك القيم المجتمعية بين أبناء المجتمع، بسبب سلوكيات عصابات داعش، وبسبب الحاجة والعوز والحرمان، والاشراف على الهلاك بفقدان كل مقومات الحياة الانسانية؛ لتأخذ تلك الجمعيات دورها الفاعل في بث روح الامل والتفاؤل، والعودة من جديد إلى سلم الحياة الانسانية الطبيعية التي ينبغي أن تكون. وختمت الورقة بخاتمة لبيان أهم النتائج التي توصلنا، مع بيان التوصيات المرجوة مستقبلاً للعمل الخيري في عالمنا العربي والإسلامي.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

يمثل العمل الخيري قيمة إنسانية كبرى تتمثل في العطاء والبذل بكل أشكاله، وسلوك حضاري حي، لا يمكنه النمو سوى في المجتمعات التي تنعم بمستويات متقدمة من الثقافة والوعي والمسؤولية، فهو يؤدي دوراً مهماً وإيجابياً في تطوير المجتمعات وتنميتها. فالمؤسسات والهيئات والجمعيات الخيرية تعد أداة لتنفيذ المبادئ الإسلامية، الحائثة على فعل الخير، وإسداء النفع للناس وخدمتهم، والتي تمثل صمام أمن وأمان وقائي بين المجتمعات والدول ذاتها، حيث يساعد على نزع مخالب الشح من المجتمع، ونشر قيم الود والتراحم والتعاطف والتكافل، وكذلك يعمل على تقليص الجريمة بين أوساط المجتمع.

أثر العمل الخيري في تعزيز القيم المجتمعية

الموصل (نينوى) أنموذجاً

أ.د. عبدالستار جاسم محمد

أ.م.د. رحاب نذير محمود

يمكننا القول إن العمل الخيري شهد تغييراً ملحوظاً ومهماً على مدى العقدين الماضيين. وحتى فترات سابقة كان من النادر أن نجد من يتحدث عن الشغف بالعمل الخيري المؤسس والمنظم، وعن القيم وتحمل المسؤولية، أما الآن فقد صارت هذه المصطلحات شائعة التداول، وأصبحت مرتبطة بالعمل الخيري بكل صورته وعلى كافة الأصعدة (١).

ومما لا شك فيه أن موضوعة القيم من المسائل التي تتشابك فيها الدلالات، وتتداخل تداخلاً كبيراً، بين دلالة عامة لمفهوم القيمة، ودلالة خاصة لها، تخضع للتخصص العلمي أو العملي، وما بين ذاتية وأخرى موضوعية، وما بين دلالة قديمة وأخرى جديدة. ولسنا بصدد بيان حد القيمة في اللغة، ولكن ما ينبغي أن نبيّنه هو مفهوم القيمة وبخاصة أنه يختلف بين الأمم والمجتمعات، ومنها الغربية والشرقية أو الإسلامية. ففي المعاجم المتخصصة ترد القيمة على أنها الدافع الایدولوجي الذي يؤثر في أفكار الإنسان وسلوكه، أو هي ضوابط سلوكية تتأثر بأفكار الإنسان ومعتقداته، وهذه الضوابط تضع سلوك الإنسان في قالب معين يتماشى مع ما يريده المجتمع ويفضله (٢). أو هي مجموعة الخصائص الثابتة التي يُقدر الشيء بها، ويرغب فيه من أجلها، ويتكون سلم القيم للأشياء من جهة تفاوتها فيما يقتضي لها التقدير أو ما يبعث على الرغبة فيها (٣). ومن عموم هذه الآراء يتبين أن تعريف القيم ينطلق في الأصل من تصورات يمكن أن تكون علمانية لمعنى الحياة تفترض أن القيم تنبثق من طبيعة

(١) ينظر: سوندر شو-هاردي ومارتا إيه تايلور وبافي بودوان-شوارتر، المرأة والعمل الخيري، ٢٨.

(٢) ينظر: إحسان محمد الحسن، موسوعة علم الاجتماع، ٥١٤-٥١٥.

(٣) ينظر: إبراهيم مذكور، معجم العلوم الاجتماعية، ٤٧٣.

واقع المجتمع، وليس ذلك إلا لأن مفاهيم القيم هذه تولدت في رحم علم الاجتماع، الذي هو بمفاهيمه الحديثة نشأ في أوروبا العلمانية.

وحيث جاءت المسيحية أبرزت ما للتعاليم والوحي السماوي من شأن في الحكم على قيم الأشياء والأعمال، التي تكبر بشعور ما يترتب عليها من ثواب. وقد أكثر الإسلام في هذا، وأبرزه في صورة واضحة، وبين ما يربط الحياة الدنيا بالحياة الأخرى. إن لهذا الارتباط شأنًا في تقويم الأشياء والأعمال، والحكم عليها، وخطاب الله ﷻ هو الفيصل في الحكم على الحسن والقبح، والمباح والمحرم. فالحسن ما وافق الشرع، واستوجب الثواب، والقبح ما خالف الشرع، وترتب عليه العقاب، فأعمال الدنيا مقومة بحسب ما يترتب عليها في الآخرة من عقاب أو ثواب، وقيمة الأشياء من حيث ما تحصّله للإنسان من حسن الأفعال أو قبحها (١).

وعلى هذا الأساس، فإن القيمة هي مفهوم شرعي، وليست مفهوماً وضعياً، وهذا مجرد القيمة في الحقيقة من أية دلالة ذاتية أو نسبية ليعطيها أهمية مطلقة، تتبثق مما منحه الوحي للأشياء من حسن أو قبح، وثواب أو عقاب (٢)؛ لذلك فإن القيم أهداف سامية أخبر عنها القرآن الكريم، وتحدث بها النبي ﷺ، ورغب بها في السلوك الحياتي، وفي العلاقات الاجتماعية، وفي التعاملات اليومية، وهي مقاييس يدل تحقيقها على المكانة الاجتماعية، ومكانة الإنسان عند ربه (٣). ففي الإسلام نسق قيمي موحد،

(١) ينظر: إبراهيم مذكور، معجم العلوم الاجتماعية، ٤٧٤.

(٢) ينظر: أ. د موفق سالم نوري، أ.م. د عبدالستار جاسم الحياتي، القيم الحضارية في السنة النبوية المطهرة، بحث مقدم لجائزة الأمير نايف بن عبد العزيز للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، ١٥.

(٣) ينظر: عبدالرحمن النحلاوي، التربية الاجتماعية في الإسلام، ١٣٠.

أثر العمل الخيري في تعزيز القيم المجتمعية

الموصل (نينوى) أنموذجاً

أ.د. عبدالستار جاسم محمد

أ.م.د. رحاب نذير محمود

يحكم كل جوانب الحياة الاجتماعية، فليس ثم انفصال بين المسجد والدولة التي ينبغي أن تعكس القيم الإسلامية في أفعالها كلها، وأن ثمة علاقة وثقى بين القيم والاعتقاد والواقع الاجتماعي (١). إن إدراك الإنسان للقيم، يضعه في مكانة سامية لا يرقى إليها كائن آخر، وعلى أساس هذا الإدراك وتلك المكانة يقوم الحد الفاصل بين عالم الإنسان وعالم الكائنات الأخرى (٢).

ومن هنا جاءت ورقتنا البحثية لبيان الدلالات القيمية المجتمعية التي كرسها وعززها العمل الخيري، في المجتمعات فاقدة الحياة الانسانية، وكل معطيات الحياة الكريمة مسلوبة القيم؛ بسبب الاحداث الكارثية التي مرت عليها، ولاسيما مدينتنا الموصل، فكانت الورقة بعنوان (أثر العمل الخيري في تعزيز القيم المجتمعية - الموصل (نينوى) أنموذجاً).

المبحث الاول: العمل الخيري في المجتمع الموصل - الاسس والجنور -

تعد كثرة وتعدد المؤسسات والجمعيات والمنظمات الخيرية في أي مجتمع ما، ظاهرة صحية تدل على التكامل بين القطاع الحكومي والقطاعات الخاصة، وعلى عمق التكافل والتآزر والشعور بالمسؤولية من أبناء ذلك المجتمع؛ لأن هذه المؤسسات والمنظمات الخيرية لا تنشأ في المجتمعات إلا بعد مرورها بأزمات وكوارث تفقد المجتمع العديد من مقوماته المادية والمعنوية، مخلفة وراءها عشرات إن لم نقل مئات الالوف من الفقراء والمحتاجين والمعوزين والمعاقين الذين يحتاجون إلى مد يد العون لهم، ومحاولة انتشالهم من واقعه المريع الذي فرض عليهم خارج ارادتهم.

(١) ينظر: محمد أحمد بيومي، علم اجتماع القيم، ١٨٤-١٨٥.

(٢) ينظر: محمد أحمد بيومي، علم اجتماع القيم، ٢٦.

ومن الجدير بالذكر الاعتراف أن المجتمعات الغربية سبقت المجتمعات الإسلامية بإنشاء تلك المؤسسات الخيرية، ونرى ذلك واضحاً في الدول المتقدمة، فهذه أمريكا يوجد فيها أكثر من (مليون ونصف) منظمة خيرية، ويتطوع ٤٤% من أفراد المجتمع لديهم، بواقع (٢٥ بليون ساعة تطوع) سنوياً بما يعادل (٩ ملايين) عامل بدوام (٨ ساعات) يومياً. وبلغ حجم التبرعات للمنظمات الخيرية بأمريكا عام ٢٠٠٢م ما يعادل (٢١٢) مليار دولار، منها ٣٨% لأغراض دينية(١). والفرق بين واقعا في دولنا العربية الإسلامية والدول الغربية كبير في الوعي بأهمية العمل الخيري على الرغم من أننا في عالمنا الإسلامي نستطيع أن نتميز أكثر، لأننا نمتلك قيماً ودوافع في ديننا الإسلامي الحنيف تحضنا على تقديم العمل الخيري والتطوعي للإنسان وغيره. فهناك العديد من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي تحض على ذلك قال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢). وقال ﷺ: ((فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبٍ أَجْرٌ)) (٣).

ومدينة الموصل كغيرها من مدن العراق لم تشهد العمل الخيري، بهيكلياته المؤسساتية والتنظيمية كوحدات مستقلة وفاعله، ولها نظام وبرامج عمل، وتمتلك ادارة وموظفين إلا بعد الأحداث الأمريكية

(١) عبدالله ياجهام، الفرق بين العمل التطوعي والعمل الخير، مقال نشر على الانترنت في ٣٠/ مايو/ ٢٠١٣م، احقاف اليوم.

(٢) سورة التوبة: الآية ١٠٥.

(٣) أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفرائيني (ت: ٣١٦ هـ) مسند أبي عوانة، تحقق: أيمن بن عارف الدمشقي، دار المعرفة (بيروت، ١٩٩٨م) كتاب البيوع، باب: ذكر الخبر المبين أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب، رقم الحديث (٥٣٤٢).

أثر العمل الخيري في تعزيز القيم المجتمعية

الموصل (نينوى) أنموذجاً

أ.د. عبدالستار جاسم محمد

أ.م.د. رحاب نذير محمود

ودخول قواتها العراق. وما كان من أعمال خيرية سابقة لذلك التاريخ لا تعد إلا كجهود فردية شخصية يمكن أن تكون على شكل لجان مسجدية أو مناطقية شبه سرية أقرب منها إلى العلنية لأسباب لسنا بصدد ذكرها.

ويمكننا القول إن مدينة الموصل تتكون من وحدات اجتماعية متعددة، تبدأ بالأسرة والعائلة وصولاً إلى العشيرة والقبيلة، يرتبط أبنائها بعلاقات حميمة ممتازة على المستوى الأسري والعائلي والقبلي، على وفق معطيات قيمة مستمدة في غالب أحيائها من ديننا الحنيف، وفي أحيان أخرى من قيم التعايش والترابط الاسري والاجتماعي، ومن موروث العادات والتقاليد العشائرية.

فهناك العديد من العلاقات الاجتماعية تتمثل بقيم التواصل والتعاطف والتساعد والتكافل وإقامة المشاريع الخيرية، على الرغم من تنوع التركيبة الاجتماعية للمدينة بين إثنيات متنوعة وديانات متباينة - اسلامية - مسيحية - يزيديية - يمكن أن تتعدد إلى مذاهب مختلفة لكل ديانة منها. وإن كانت بمستويات متواضعة، من اعالة يتيم في العائلة أو القبيلة، أو تزويج متعفف، أو مساعدة ذي حاجة ألم به الدهر، وما شابه ذلك من المشاريع الخيرية الأخرى. ويمكن أن يتجاوز ذلك حدود الترابط بالدم، ليمثل بين أبناء الأحياء التي تتشكل منها الوحدات السكنية لمدينة الموصل، وأقضيتها ونواحيها، يتجسد ذلك في المناسبات والأزمات بأنواعها.

وقد تطورت تلك المشاريع الخيرية لتتشكل على وفق منظمات ومؤسسات وجمعيات خيرية متعددة ومتنوعة. انبثق العديد منها من الذوات الاجتماعية التطوعية لأبناء المدينة، التي تربطها روابط الإنسانية والوطنية، وتجمعها مشاعر الرحمة والشفقة، والعيش المشترك. كان الدافع الاساسي في ولادتها الشعور بمعاناة ابناء المجتمع، والإحساس بحرمانهم وحاجتهم. مؤلت غالب تلك المؤسسات من تبرعات

ومعونات المحسنين أبناء المدينة، وقد تشكلت تلك المؤسسات بهيكلية مختلفة تتعامل على وفق المعطيات والظروف التي تسارعت متغيراتها بعد أحداث ٢٠٠٣م، وما حل بالبلد في العموم ولاسيما مدينة الموصل من أزمات، وكوارث، وتفجيرات، وتشريد، وتجويع، واقتتال راح ضحيته مئات الألوف من الأرواح البريئة من كل مكونات أبناء المجتمع العراقي.

فأخذت تلك المنظمات والمؤسسات الخيرية دورها ولو بمستويات متواضعة في لملمة بعض تلك الجراحات التي اصابت ابناء المجتمع، من كفالة يتيم، الذين كانت اعدادهم تتزايد يوماً بعد يوم، بسبب الاحداث، وكثرة الانفجارات، وعمليات التدمير والتخريب التي مرت بها المدينة. أو إعالة أرملة، أو مساعدة محتاج لا يكاد يجد لقمة العيش لأسباب كثيرة ومتنوعة، من أهمها توقف سيرورة عجلة الحياة المدنية أو تعطيلها؛ لفقدان كل المقومات الأمنية التي ينبغي أن يتمتع بها أبناء المجتمع. والتي انعكست آثارها على الجوانب الأخرى وفي مقدمتها الجانب والمادي والمعاشي.

ومع كل تلك الظروف المأساوية التي عاشها أبناء العراق، ولاسيما أبناء مدينة الموصل، غير أن المشاريع الخيرية والعمل التطوعي كان متواصلًا ومتفاعلاً له آثاره الواضحة بين أبناء المجتمع. نذكر على سبيل المثال جمعية فعل الخيرات التي تأسست (سنة ٢٠٠٦م) كمؤسسة ذات قطاعات متعددة، وهيكلية تنظيمية - بعد دخول القوات الأمريكية إلى العراق - بقيادة أحد اساتذة جامعة الموصل^(١). لتتكون من فروع مختلفة في هيكليتها - فرع كفالة يتيم، وفرع إعانة الأراذل والعوائل المتعففة، وفرع مخازن الإغاثة من سلات غذائية ودوائية، ومجمع سكني يضم ما يقرب من ٤٥٠ عائلة من عوائل

(١) هو الأستاذ الدكتور سعدالله توفيق سليمان، من أبناء مدينة الموصل، استاذ في جامعة الموصل تخصص علوم كيمياء، شغل منصب رئيس الجامعة، حالياً متقاعد، كرس كل وقته وجهده للعمل الخيري. جمعت المعلومات من خلال لقاء الباحث مع الدكتور سعدالله.

أثر العمل الخيري في تعزيز القيم المجتمعية

الموصل (نينوى) أنموذجاً

أ.د. عبدالستار جاسم محمد

أ.م.د. رحاب نذير محمود

الأرامل والأيتام، وتوزيع الكسوة الشتوية والصفية لطلاب المدارس ورياض الأطفال، وسلة رمضان التي توزع على المعوزين والمحتاجين.

وكذلك جمعية (أم المساكين) التي تقودها امرأة عسامية^(١)، كرست كل طاقاتها وقدراتها للعمل الخيري، وكانت محور استقطاب لطاقات نسائية ورجالية أخرى بمختلف أعمارها، تعمل بصمت بعيداً عن كل أضواء الإعلام والشهرة؛ وسبب انتقائنا لهاتين الجمعيتين أنهما تميزتا عن غيرهما من المؤسسات والجمعيات الخيرة العاملة في الساحة الموصلية، وتضمنان في هيكليتهما فروعاً للتوجيه والتوعية الاجتماعية والدعوية إلى الله ﷻ، فضلاً عن العمل الإغاثي والخيري، وهما بذلك قد تمكنا من توجيه الناس في الأزمات والكوارث، نحو المسار الإسلامي الصحيح والفاعل. وقد بدأت جمعية أم المساكين عملها منذ (سنة ١٩٩٩م) بجهود متواضعة، تعمل في المجتمع الموصلي ولاسيما وسط الأحياء السكانية الفقيرة، التي تحتاج لمد يد العون والمساعدة. ثم تطور عملها بعد دخول القوات الامريكية إلى العراق، لتتوسع ويتضاعف جهدها إلى مشاريع خيرية واسعة النطاق، وعلى مستويات مؤثرة في المجتمع، لتتلاءم مع حجم الكارثة التي حلت بالبلد والمجتمع ولاسيما الموصلي. وكانت هيكليتها على شكل أقسام متعددة: قسم كفالة الأيتام بأعداد تتراوح بين ١٥٠ الى ٢٥٠ يتيماً بتوفير كل المستلزمات الضرورية لهم، وقسم اعالة العوائل الفقيرة والمحتاجة، وذلك بتجهيز تلك العوائل بمواد معاشية عينية شهرية تفي بسد حاجة العائلة لذلك الشهر، وقسم مشروع الصدقة الجارية، كفتح مشغل

(١) هي الأستاذة شهلة ياسين حمو الحمداني، بكلوريوس علوم رياضيات، مدرسة على ملاك وزارة التربية والتعليم، تعمل في مجالات الاعمال الخيرية والاغاثية وكفالة الايتام، كما انها تسهم في مجالات الدعوة والارشاد الإسلامي في مساجد مدينة الموصل. جمعت المعلومات من خلال لقاء بين الباحث والاستاذة شهلة.

خياطة، أو مشروع ربحي متواضع، وقسم كسوة الشتاء والصيف، يتلخص عملة، بجدد أكبر قدر ممكن من الاطفال والشباب طلاب المدارس ولاسيما المحتاجين، وجلب ملابس شتوية وصيفية لهم.

بدأت هذه المشاريع الخيرية تضحل وتتلاشى شيئاً فشيئاً حتى توقفت عن عملها نهائياً، بعد دخول تلك العصابات الارهابية (داعش) لأسباب متعددة، منها: الانقسام والتشطي لأفراد المجتمع على مستوى الأسرة الواحدة بين رافض ومؤيد لأفكار تلك العصابة، بخاصة أنها قدمت مشروعها الفكري بكل صوره واشكاله على أنه ديني اسلامي اصولي، يستند إلى الفهم السلفي بحسب زعمهم - مرجعيته القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة - بفهم سلف الأمة بما فيهم صحابة الرسول ﷺ والتابعين لهم. ورفضهم لكل المشاريع الخيرية التي تولي اهتمامات مباشرة بالمجتمع، وتلبية حاجياته ما عدا التي تنضوي تحت امرتهم. ولا بد من مبايعة اصحاب المشروع لخليفتهم المزعوم. فتوقفت وتعطلت كل المشاريع الخيرية التي كانت فاعلة بين أبناء المجتمع قبل دخولهم المدينة، بسبب رفض اصحابها البيعة، أو الانضمام إلى صفوفهم.

بمرور الايام تمكنت داعش بخاصة أنها مكثت مدة ليست بالقليلة في مدينة الموصل (ثلاث سنوات) أن تزرع في نفوس من تابعها من أبناء المدينة، وانخرط في صفوفها، صفة الولاء لها بكل هيكلها التنظيمي ابتداءً من ادنى وحدة تنظيمية وصولاً إلى خليفتهم المزعوم. فتقطعت بذلك كل الروابط التي كانت قائمة بين أبناء المجتمع، على مستوى الأسرة أو العائلة أو القبيلة الواحدة. والسبب الأساسي في ذلك صفة الوحشية المفرطة التي تعامل بها أفراد تلك العصابة مع أبناء المجتمع الموصلية بمختلف هيكلتها التنظيمية (ديوان الحسبة - ديوان الزكاة - ديوان المظالم... إلخ).

أثر العمل الخيري في تعزيز القيم المجتمعية

الموصل (نينوى) أنموذجاً

أ.د. عبدالستار جاسم محمد

أ.م.د. رحاب نذير محمود

ومن هنا بدأت عملية التفكك الأسري، التي تبعها انحسار وتوقف لكل المشاريع الخيرية التي كانت قائمة بين وحدات المجتمع الموصل، بسبب عوامل البغض، والكره، والحقد، وعدم الثقة ... التي زرعتها داعش بين أبناء المجتمع.

وبعد خروج داعش من المدينة مخلفة وراءها كارثة جسيمة بكل صورها واشكالها؛ بسبب قسوتها ووحشية سلوكيات أفرادها مع أبناء المجتمع الموصل، فضلاً عن عشوائية خطة التحرير من القوات الامنية (زهقت مئات الألوف من الأرواح وخلفت دماراً كاملاً لكل البنى التحتية للمدينة وانعدمت القيم التكافلية والمجتمعية بين افراد المجتمع فضلاً عن تراجعات أخلاقية وسلوكية بين اعداد كبيرة من ابناء المجتمع ولاسيما الشباب كردة فعل لسلوكيات داعش)، فجاءت المؤسسات والمنظمات الخيرية لتعيد بعض تلك القيم التي كانت ماثلة في أوساط ذلك المجتمع من خلال بث روح التعاون والتآزر المجتمعي، بتقديم العديد من المعونات العينية للمتضررين والمنكوبين، والأخذ على أيديهم، والشد من أزرهم، وتوجيههم نحو ضرورة العمل الجماعي والتكافلي.

المبحث الثاني: العمل الخيري وتعزيز قيم الفرد

للقيم أهمية كبيرة، وانعكاسات واضحة على الفرد والمجتمع، فهي إما مقدسة أو مشروعة. والإنسان يعيش في هذه الحياة على وفق قيم معينة، يطبقها ويسعى إليها ليحققها في حياته، فيسعد بها في عيشه مع ذاته ومع أبناء مجتمعه، وكأنها نوع من أنواع المحددات أو الغايات، يعد الوصول إليها من أنواع النجاحات التي يرومها في حياته، وعلامة ومؤشراً ايجابياً للتفاعل المنشود في واقعه الاجتماعي.

وتتنوع هذه القيم على وفق المحددات والمؤشرات الدينية والاجتماعية، التي يعيشها الإنسان، ويؤمن بها، ويتفاعل معها. فمنها ما هو ديني تتضح معالمه من خلال اطلاع الإنسان على أصل الوجود والكون، والتزامه بتعاليم الدين، وحرصه على إرضاء الخالق جل وعلا، ونيل ثوابه، والبعد عن عقابه (١). ومنها ما هو اجتماعي يُكتسب من خلال تفاعل الإنسان في مجتمعه، ووسطه الذي يعيش فيه، ومحاولته الإيجابية في تفعيل تلك المكتسبات في واقعه الاجتماعي. ومنها ما هو جمالي يكمن في النفس البشرية التي خلقها الله ﷻ كحب الأشياء الجميلة التي تبعث في النفس السرور (٢).

ومنها ما هو تفاعلي يظهر من خلال واقع الإنسان الذي يعيش فيه ومع أبناء مجتمعه. وهذه القيم تظهر بوضوح وذات اثر فاعل في الأزمات والكوارث التي تصيب المجتمعات والحياة الإنسانية. ومما لاشك فيه أن أبناء مدينة الموصل قد عُرس في نفوسهم العديد من تلك القيم السامية المكتسبة من ديننا الحنيف، أو من المورث العشائري والمجتمعي على وفق معطيات قيمة راقية. غير أن المدة الزمنية التي سيطرت فيها عصابات داعش على المدينة والتي تقرب من ثلاث سنوات حجمت العديد من تلك القيم؛ بسبب السلوكيات الوحشية التي تعامل بها افراد تلك العصابات، واساليب القمع والتهديد والتعذيب، والتي مارسوها مع أبناء المدينة دون الاخذ بنظر الاعتبار أو الاحترام، لجنس من ذكر أو انثى، أو صغير وكبير، أو جاهل وعالم. وكأن الإسلام على وفق معاييرهم جاء لقمع الناس، وهضم حقوقهم، والانتقاص من كرامتهم، ومحو قيمهم وهويتهم المجتمعية.

(١) بوعطيط سفيان، القيم الشخصية في ظل التغيير الاجتماعي وعلاقتها بالتوافق المهني، رسالة دكتوراه علوم في علم النفس العمل والتنظيم، جامعة منتوري - قسنطينة - الجزائر، ٦٦ - ٦٧.

(٢) بوعطيط سفيان، القيم الشخصية في ظل التغيير الاجتماعي وعلاقتها بالتوافق المهني، ٩٨ - ٩٩.

أثر العمل الخيري في تعزيز القيم المجتمعية

الموصل (نينوى) أنموذجاً

أ.د. عبدالستار جاسم محمد

أ.م.د. رحاب نذير محمود

ومنذ اللحظات الأولى للشروع بعمليات التحرير لمدينة الموصل، عادت تلك الجمعيات إلى عملها لتتفاعل مرة أخرى مع أبناء المجتمع، ويمكن القول إنها ضاعفت من عملها ومجهوداتها الخيرية لتتلاءم مع حجم الكارثة التي بدأت ملامحها تظهر واضحة يوماً بعد يوم، بنزوح أغلب أبناء الأحياء السكنية التي تتحرر تباعاً، لتتشكل وحدات سكنية على هيئة مخيمات (ديبكة - الخازر - حسن شامي ١ - حسن شامي ٢ - جمكور ... الخ) ليضم كل مخيم من تلك المخيمات اعداداً تتراوح بين (٣٠٠٠ - ٥٠٠٠) نسمة، خرجوا من المدينة لا يحملون سوى إثباتاتهم الشخصية بعد أن دمرت بيوتهم، أو سرقت تحت اصوات المدافع والراجمات.

تنوعت أعمال تلك الجمعيات الخيرية محاولة تغطية وتلبية كل ما تحتاجه تلك المخيمات من مواد غذائية، وأدوية بأنواعها، وكسوة، وما إلى ذلك من حاجيات تسعف حالهم في ذلك الشتاء القارص. لتبدأ معها عملية تفعيل وإحياء القيم الإنسانية والمجتمعية التي فقدت من أوساط المجتمع، وأولى تلك القيم هو إشعار الناس بقيمتهم الإنسانية التي كرمهم الله تعالى بها ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾^(١). بعد ان سلبتها منهم داعش، وذلك بالقيام على شؤونهم، وتهيئة ما يحتاجونه من مستلزمات وحاجيات، ومحاولة التخفيف من معاناتهم التي تحملوها، وبث روح الأمل والتفاؤل بهم من جديد.

ثم محاولة تفعيل كل قيم بناء الشخصية الإيجابية التي تسهم في التفاعلات المجتمعية والتي تتمثل (بالحياة الشريفة - الثقة بالنفس - التعايش المجتمعي - البعد عن الحرام - صيانة الأمانة - مساعدة الآخرين - الكرامة - قيم الايمان بقضاء الله وقدره ...إلخ)؛ لأن العديد من تلك القيم تلاشت من نفوس

(١) سورة الاسراء، الآية ٧٠.

مكونات كبيرة من أبناء المجتمع لأسباب متعددة، في مقدمتها - كما اشرنا سابقاً - سلوكيات داعش وإذلالهم لكل مكونات المجتمع الموصلية وبشتى الوسائل والطرق. وعدم المساواة بين المحتاجين والمعوزين من أبناء المجتمع، فالمنتمي إلى صفوفهم يتمتع بكل أسباب العيش الرغيد، وتلبي كل حاجياته المعاشية بكل يسر وسهولة، دون غيره من أبناء المجتمع الموصلية، فضلاً عن عامل الجوع الذي عاشه أغلب أبناء المجتمع الموصلية خلال مدة وجودهم، وخلال العمليات العسكرية لتحرير المدينة، وحرمانه من أبسط مقومات الحياة الكريمة، وأدنى وسائل العيش البسيط، الذي دام أكثر من سنة. ثم وازع الرعب والخوف الذي بثته تلك العصابات بين أفراد المجتمع الموصلية؛ لمحاولة الضغط عليهم لكسبهم في صفوفهم، بخاصة في أثناء عمليات التحرير.

وحين بدأت تلك المؤسسات والجمعيات والمنظمات بعملها بعد الشروع بعمليات تحرير مدينة الموصل من القوات العسكرية، كان من أولويات عملها محاولة انقاذ المحاصرين مابين القوات العسكرية وقوات داعش في الأحياء التي شرعت في تحريرها، ففي تلك اللحظات رويت قصص وأحداث قد لا يمكن تصديقها، فقد تركت الأم ابنها؛ بسبب الخوف والهلع والحذر من نيران القذائف والصواريخ، وتسديدات قناصو داعش، ومحاولة إيصالهم إلى أماكن آمنة بعيدة عن مرمى الإطلاقات والقذائف النارية، ثم إسعاف الجرحى وتضميدهم ونقلهم إلى أماكن آمنة.

وهنا يأتي دور تلك الجمعيات والمؤسسات الخيرية في إقامة دور الرعاية الاجتماعية، التي تعنى برعاية حفظ الأطفال الذين فقدوا أهاليهم في الحرب، ومن جراء عمليات التحرير، أو ممن قتلهم داعش ظلماً وعدواناً، لم يتبق لهم معيل ومعين من أهاليهم. ولاسيما ما تمثلت به جمعيتنا فعل الخيرات، وأم المساكين وحققتاه في الواقع المجتمعي - بخاصة أن القائمين عليهما يتمتعون بالتزام ديني وخلق

أثر العمل الخيري في تعزيز القيم المجتمعية

الموصل (نينوى) أنموذجاً

أ.د. عبدالستار جاسم محمد

أ.م.د. رحاب نذير محمود

كسار في حياتهم الشخصية والعملية - باحتضانها مئات من الايتام، واسكانهم في بيوت ودور، ورعايتهم ومتابعة شؤونهم المعاشية والصحية والتربوية والتعليمية، ومنحهم الحق في الحياة الكريمة، تجسيدا حقيقيا لقيم بناء الشخصية المستقيمة والفاعلة، بعيداً عن مزالق الانحراف والضياع في أزقة وطرقات المدينة. التي يُأمل منها التفاعل المجتمعي مستقبلاً؛ مما يحقق الاستقامة للفرد، وعدم الانحراف بكل مستوياته الفكرية والأخلاقية والسلوكية، والتي تنعكس مستقبلاً على الفرد والمجتمع، وتختلف منعطفات خطيرة يمكن أن تزعزع الكيان المجتمعي بكل منظومته القيمية. ومن ناحية أخرى فقد اسهمت جمعية فعل الخيرات بعملها هذا في ترسيخ قيم الشخصية الايجابية، وتربية هؤلاء الأيتام مختلفي الاعمار على قيم الفضيلة التي ينبغي أن تكون جزءاً يقينياً راسخاً في أعماق كل مسلم، لأنها تتعلق بالفهم الايماني للفضائل التي هي جزء من قيم الإيمان.

إن إعداد النفس الإنسانية بهذه الطريقة عبر عنه الإسلام (بحسن الخلق) التي تعني قواعد التعامل مع الآخرين بما يحقق المعطيات الآتية: كسب مرضاة الله تعالى أولاً؛ لأن حسن الخلق مما أمر الله به. ثم تحقيق قدر كبير من انسيابية الحياة بطريقة تحقق النفع والمصلحة للجميع، وبما يقود إلى إبعاد أي أذى أو ضرر قد يقع عليهم أو على أحدهم. ومثل هذه المعطيات تقود في المحصلة إلى التعبد لله تعالى؛ ليكون ضابطاً ورقياً على السلوك، كذلك يقود إلى إعمار الأرض على وفق المنهج الشرعي الذي أمر الله تعالى به (١). وهذه من أهم قيم الفرد التي ينبغي أن تترسخ في الانسان المسلم منذ طفولته ونشأته ليتفاعل معها في سيرورة حياته المستقبلية مع أبناء مجتمعه.

(١) ينظر: أ. د موفق سالم الجوادي، د عبدالستار جاسم الحياي، القيم الحضارية في السنة النبوية، ٢٣٣.

ومن بين تلك القيم التي حاولت غرسها تلك الهيئات والجمعيات الخيرية في نفوس النازحين والمتضررين من جراء تلك الحرب، قيمة الصبر على البلاء، وعدم اليأس في هذه الحياة الدنيا، بخاصة أن الانسان عرضة للمصائب والنكبات، والله سبحانه وتعالى جعل الصبر من عزم الامور **لَوْلَمْ مَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** {٤٣} (١). فهو من المقومات الرئيسية في بناء الشخصية، والانسان المنكوب والمكروب يحتاج إلى التذكير والتعليم، يقول الله تعالى: **إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ** {٣} (٢). يقول الامام الشافعي رحمته الله: ((لو فكر الناس كلهم بهذه الآية لوسعتهم، وذلك أن العبد كماله في تكميل قوته: قوة العلم، وقوة العمل، وهما الإيمان والعمل الصالح، وكما هو محتاج لتكميل نفسه فهو محتاج لتكميل غيره، وهو التواصي بالحق، وقاعدة ذلك وساقه إنما يقوم بالصبر)) (٣). ويقول عليه الصلاة والسلام: ((أفضل الإيمان: الصبر والسماحة)) (٤) فلم يعط النبي صلى الله عليه وسلم هذه المكانة للصبر إلا لأهميته البالغة في حياة المسلم، وتكوين شخصيته الايجابية مع الاحداث، فبالصبر تحتمل الابتلاءات والمصائب، وبالصبر يعف المرء عن الشهوات، ويكون ذلك أسمى وأرفع إذا كان محروماً من حلال هذه الشهوات، فيكون عفيفاً طاهراً.

كذلك فإن من بين تلك القيم المهمة التي عززتها تلك الجمعيات في نفوس الناس بعد خروجهم من أزمته قيمة القناعة والرضا، فقناعة المرء تجعله عفيفاً عما في أيدي الآخرين، ولا يتمنى الاستحواذ على ما عندهم، ولا يسخط على قدر الله الذي قدره له، فهي كانت تقوم بدور التوجيه لهم مع ما

(١) سورة الشورى، الآية ٤٣.

(٢) سورة العصر، الآيات ٣.

(٣) ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت: ٧٥١ هـ) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، دار ابن كثير، ط٣ (بيروت، ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٩ م) ٤٥٥.

(٤) المناوي، فيض القدير، ٣٨/٢.

أثر العمل الخيري في تعزيز القيم المجتمعية

الموصل (نينوى) أنموذجاً

أ.د. عبدالستار جاسم محمد

أ.م.د. رحاب نذير محمود

يمنحونهم من وسائل العيش المتواضعة، وبلوغهم لحالهم هذا لا يعني الاستسلام، والقعود، وعدم العمل، وعدم التطلع إلى أن يرتقي المرء بنفسه بعد انهياره في كل الجوانب ولاسيما الجانب المادي؛ ليخرج من أزمته بكل الوسائل المتاحة والمشروعة.

المبحث الثالث: العمل الخيري وتعزيز القيم الاسرية.

من الجلي الواضح أنه لا أمة حيث لا أسرة، بل إنه لا آدمية حيث لا أسرة (١)؛ لذلك حرص الإسلام حرصاً شديداً على كيان هذه الخلية، ونظم شؤونها التنظيم الذي يحفظ لها أداء دورها العظيم في حفظ حياتها واستقامتها؛ لأن الإنسان لا يمكن أن يستشعر معاني الأمان والطمأنينة إلا داخل جماعة منظمة تنظيمياً محكماً، يعرف كل فرد فيها ما عليه وما له بدقة عالية. وليس أدق ولا أحكم تنظيمياً من الأسرة، بخاصة أن هذ التكوين مدعم شرعياً وأخلاقياً وعرفياً في المجتمعات كلها، بما يوفر أساساً رصينة؛ لتحفظ الأسرة تكوينها بشكل فعال، وليس ببعيد عن الواقع إذا قلنا: إن الإنسان بدون أسرة كشاة ضالة، بائسة شقية تهيم على وجهها، عرضة لكل معاني الخطر؛ لذلك لا بد من الاسرة (٢). كما أن اشباع الحاجة إلى الانتماء يعد أمراً ضرورياً؛ لاستقامة الحياة البشرية، فمن دونه يضطرب المرء ويتخبط ليرتمي في أحضان أية جماعة تحقق له مثل هذا الإشباع، في حين نجد أن تحقيقه داخل الأسرة يساعده كثيراً في تنظيم هذه الحاجة بالانتماء إلى الجماعات الايجابية النافعة ذات القيم، بعد أن يتخلص من الشعور بالاضطراب الناجم عن عدم انتمائه إلى أسرة.

(١) ينظر: محمد ابراهيم الهسنياني، في ظل الأسرة المسلمة، ١٢.

(٢) ينظر: عفيف عبدالفتاح طيارة، الخطايا في نظر الإسلام، ٩٦.

تستند الأسر في مجتمعاتنا الشرقية ولاسيما الإسلامية منها، في بناء منظومتها القيمية إلى التصورات التي كونها الإسلام عن الآخرة والمصير الذي يؤول إليه الإنسان؛ ليجعل المصير الأخروي مرتيناً بمسائل معينة، والتزامات محددة، منها ما يتعلق بالعلاقات الأسرية بأبعادها الثلاثة: الوالدان، والزوجان، والأقارب.

ولقد أدت المؤسسات والهيئات والجمعيات الخيرية دوراً كبيراً في تعزيز تلك القيم، بخاصة تلك التي تتعلق باحترام الوالدين، والشعور بالانتماء الأسري، والعلاقات الحميمة التي كادت أو فقدت من بعض أوساط المجتمع الموصلية؛ بسبب إملءات داعش، والتثقيف بين الأوساط المجتمعية من خلال وسائل إعلامهم بعدم الرجوع والعودة إلى رأي الآباء والأمهات بالانضمام إلى صفوف تلك العصابة بخاصة أنها تجاهد في سبيل الله على وفق زعمهم.

فكانت عمليات الانقاذ والاسعاف والايواء، للناجين والفايرين من قبضة داعش، ومن وطأة نيران الحرب الضروس التي فُرضت عليهم دون إرادة أحد منهم، أول الأعمال التي قامت بها تلك الهيئات والجمعيات الخيرية، فبعد مباشرة القوات الأمنية بكل صنوفها بالعمليات العسكرية لتحرير مدينة الموصل من عصابات داعش، بدأت عمليات النزوح لسكان المدينة تتابع خلال عمليات التحرير على شكل جماعات وأفراد، نجاةً بأنفسهم، من هول ما عانوه خلال عمليات التحرير، ومنع عصابات داعش لمن أراد النزوح. بل هناك أعداد هائلة من سكان المدينة - أطفال وشباب وشيوخ ونساء - قتلوا على أيدي أفراد تلك العصابة؛ بسبب محاولاتهم الفرار من المدينة، ثم تلاحقت نيران مدافع وصواريخ قوات التحرير لتقتل أعداداً أخرى هائلة من سكان المدينة، الجثث والأشلاء في الشوارع والطرقات، وهناك من قتل في داره ولم يتمكن أهله من نقله إلى المقابر لدفنه، ودفن في حديقة المنزل، أو في إحدى غرف المنزل،

أثر العمل الخيري في تعزيز القيم المجتمعية

الموصل (نينوى) أنموذجاً

أ.د. عبدالستار جاسم محمد

أ.م.د. رحاب نذير محمود

وهناك من قتل ولم يجد من يدفنه إلا بعد مرور عشرات الأيام. فالصورة المأساوية التي عاناها أهل الموصل لم تشهدها مدن العالم منذ أوقات موعلة في عمق التاريخ الإنساني.

فقامت كوادر تلك الهيئات والجمعيات بتوزيع الأدوار، فهناك من تتبّع آثار عمليات التحرير، يسير خلف القوات العسكرية مخاطراً بنفسه، متوغلاً في أطلال الأحياء السكنية للمدينة، محاولاً إنقاذ ما يمكن إنقاذه من السكان الناجين، ومساعدتهم على النزوح والخروج من المدينة، وكوادر أخرى تولت عمليات الإسعاف الإنساني بكل صوره وأشكاله، وتقديم الإسعافات الأولية بتقديم علب مياه الشرب، ووجبات الغذاء السريعة، لمن يسير في الطريق فاراً من المدينة إلى مخيمات النزوح، في حين تركزت كوادر تلك الجمعيات الخيرة بعملها داخل المخيمات، بتهيئة المكان، وتقديم الخدمات التي يمكن تقديمها، من مياه شرب وغذاء وأغطية نوم وملابس، بخاصة أن الأحوال الجوية كانت قاسية، بسبب برودة الجو، وتساقط الأمطار؛ ليتطور بعد ذلك عمل تلك المؤسسات والهيئات داخل المخيمات ليتلاءم مع واقع حال تلك المخيمات بخاصة أنها حوت أعداداً هائلة من سكان مدينة الموصل، لم يتمكنوا من العودة إلى أماكنهم لأسباب مختلفة.

حتى تمكنت بعملها الدؤوب بعيداً عن التغطية الحكومية والرسمية، من صناعة حياة إنسانية لسكان تلك المخيمات، يمكن أن ترتقي إلى أدنى مستويات الحياة الإنسانية التي تنتشدها كل المؤسسات المهتمة بحقوق الانسان، على الرغم من كبر حجمها، وتزايد أعداد سكانها يوماً بعد يوم، كما تمكنت من تكريس وتفعيل قيم المحبة والتعاون والتآلف الأسري، - بين تلك العوائل النازحة والمكلومة، كلٌ بمصيبته وألمه - وتعيد لهم تواصلهم الأسري من خلال التخفيف من معاناتهم، وإشعارهم بكرامتهم الإنسانية وحققهم بالحياة الكريمة، وأن ما اصابهم مقدر من الله تعالى ولا بد لهم من الصبر والتحمل، وبث روح الأمل من

جديد بحياة قادمة يمكن أن تكون أفضل مما مضى، فبدأت الأسر النازحة تستعيد عافيتها الإنسانية، وقيمها الأسرية، ولملمة شتاتها، الذي تناثر بسبب عصابات داعش، فقد حصلت انقسامات وتشظيات اسرية كبيرة في المجتمع الموصل، وفي الأسرة الواحدة بين مؤيد ورافض لداعش، أحدثت تلك الحالة نوعاً من التفكك الأسري، وعدم الانسجام بين أفراد الأسرة الواحدة، وتبادل الاتهامات لهول الأحداث التي مرت بهم.

كما أسهمت تلك الهيئات الخيرة في تعزيز قيم الاستقرار الأسري وترسيخها من خلال سد حاجة الاسر التي انهارت وتشردت في العراق؛ بسبب الأحداث التي حلت بهم، وولدت العديد من المشاكل الاسرية التي كانت تتفاقم يوماً بعد يوم؛ بسبب الحاجة والعوز والحرمان، وعدم المقدرة على سد حاجات الأسرة الأساسية من مأكلاً ومشرب، سواء كان ذلك في المخيمات بين العوائل النازحة، أو في أوساط العوائل المتبقية في المدينة شبه المدمرة، معدومة الحياة.

المبحث الرابع: العمل الخيري وتعزيز القيم المجتمعية

لما كانت القيم أساس بناء المجتمعات؛ بل هي أداة تحكم أفرادها، وتحدث بينهم التفاعل المستمر، فإنها لا تنشأ من فراغ، وإن أعظم موجهاتها هي ثقافة المجتمع، فما القيم الاجتماعية كالتسامح والتعاون والمحبة والرحمة، والأخذ بالحق والعدل، والقوة الإيجابية إلا دليل على ثقافة المجتمع المتأصلة فيه، التي يتلقاها الفرد والمجتمع جيلاً عن جيل، وبها يتعايش ويبقى في وئام. ومن خلال تجلية دور القيم الاجتماعية المشتركة في تحقيق التعايش الإيجابي بين فئات المجتمع يتبين أن التمسك بالقيم واجب إنساني، وضرورة اجتماعية لكل تلك الفئات؛ من أجل أن يستمر الوئام والتعايش الإيجابي والانسجام الإيجابي.

أثر العمل الخيري في تعزيز القيم المجتمعية

الموصل (نينوى) أنموذجاً

أ.د. عبدالستار جاسم محمد

أ.م.د. رحاب نذير محمود

ومعيار القيمة هو ما يحدد المرغوب والصحيح والجيد من الصفات، التي تنبثق من ثقافة المجتمع، وعلى ذلك فهي الخصائص أو الصفات المرغوب فيها من الجماعة وتوجه سلوكهم، وهي المعيار الأساسي الذي يوضح الفرق بين الحلال والحرام، أو الصحيح والخاطئ، والجيد والسيئ ويفصل بينهما، والتي تحدها الثقافة القائمة، مثل التسامح، والحق، والعدل، والأمانة، والجرأة، والتعاون، والإيثار، والقوة، وهي أداة اجتماعية للحفاظ على النظام الاجتماعي والاستقرار بالمجتمع. كذلك يتمثل مفهوم القيمة في الضمير الأخلاقي والشعور بالواجب الذي يصوغ أساليب السلوك، وأنواع التصرف الإنساني. ويبرز مفهوم القيمة في أسلوب الإنسان وتلبية مطالبه العضوية من مأكّل ومشرب وحاجاته الكمالية، ثم نزعاته الدينية والأخلاقية والإبداعية، والقيمة بذلك تمثل التحديد لاتجاه سلوك الإنسان لكي ترسم مقوماته وتعين بنيانه.

ومما لا شك فيه أن للعمل الخيري دوراً فاعلاً في استقرار المجتمع، وترسيخ قيمه، وبث روح الطمأنينة والراحة النفسية بين أبنائه؛ إذ يسهم بشكل ملموس في زرع البسمة على الشفاه، وإبعاد الحيرة عن النفوس التائهة، والسير بها نحو شاطئ الأمان في مجتمع تسوده أواصر المحبة، وروابط المودة، ويعلو فيه نداء الأخوة والتكافل والتآزر من أجل إقامة مجتمع متلاحم مترابط آمن مستقر (١).

وفي مقدمة القيم الاجتماعية التي جسدها تلك المؤسسات الخيرية بين ابناء المجتمع المكّوم، بإرادة الخير للآخرين ومحاولة اعانتهم، ونفعهم، والتخفيف من آلامهم، فهكذا ينبغي أن يكون الإنسان ولاسيما المسلم دائم النفع للناس، فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما - قَالَ: ((جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ -

(١) ينظر: أ.د نصر سلمان و أ.د سعاد سطحي، العمل الخيري وأثره في الاستقرار الاجتماعي، ، بحث نشر في مجلة

مداد التابعة للمركز الدولي للأبحاث والدراسات، ٣١/مايو/ ٢٠١٠م، ٣.

صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ ، وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ ، فَقَالَ: " أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ، أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ ، يَكْتَسِبُ عَنْهُ كُرْبَةً ، أَوْ يَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا ، أَوْ يَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا ، وَلَئِنْ أَمَشِي مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ -مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ- (شَهْرًا)) (١). فدلالة الحديث شاملة في بعدها القيمي، فالأمر يتعلق بالخلق كلهم، بعيداً عن أي تصور ديني أو عرقي أو طبقي أو فئوي، النفع بمعناه الشامل للجميع.

فالعامل الخيري يسهم إسهاماً فاعلاً في الاستقرار الاجتماعي من خلال القضاء على الظواهر الاجتماعية السلبية، كالتسول، والتشرد، ونقص الغذاء، والكساء، ونقشي الأمراض، والفاقة في بعض فئات المجتمع، التي تخرج من كوارث كهذه الكارثة المجتمعية في مدينتنا الموصل، مما تنجر عنه حالات من الاكتئاب، والنقمة على الأغنياء، وحسدهم وبغضهم، وتمني زوال النعمة عنهم، والذي سيؤدي إلى نخر أسس وروابط الأخوة والجوار والمحبة والرحمة والمودة والتكافل بين أفراد المجتمع، مما يجعل تدخل العمل الخيري أمراً حتمياً للقضاء على ذلك، وتحقيق الاستقرار الاجتماعي، ومحاولة إرجاع البسمة للمكالمين والمتضررين في تلك المجتمعات (٢).

إن حالة الخوف والهلع التي انبعثت في نفوس أبناء المجتمع الموصل دون إمكان إدراكها أو تحديدها أو وصفها، والتي تصدرت المشهد بعد سيطرة عصابات داعش على المدينة، وإحكام قبضتهم على كل مفاصل الحياة المجتمعية المدنية والسياسية والعسكرية فيها، وممارستهم لكل أساليب القمع

(١) الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم، المعجم الكبير، ، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، ط٢ (الموصل، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٣م) باب: العين، عبدالله بن عمر، رقم الحديث (١٣٦٤٦).
(٢) ينظر: أ.د نصر سلمان و أ.د سعاد سطحي، العمل الخيري وأثره في الاستقرار الاجتماعي، ، ٤ .

أثر العمل الخيري في تعزيز القيم المجتمعية

الموصل (نينوى) أنموذجاً

أ.د. عبدالستار جاسم محمد

أ.م.د. رحاب نذير محمود

والترهيب والوحشية المفرطة مع مختلف شرائح المجتمع، لا يفرقون في ذلك بين ذكر أو انثى وبين شيخ كبير السن، أو طفل لم يناط به التكليف، كان له الأثر الأكبر في تلاشي عديد القيم المجتمعية ولاسيما التكافلية منها، وتفكك عديد الروابط الأسرية والمجتمعية التي ورثها وتعلمها ومارسها في سابق أيامه.

وساد المشهد المجتمعي حالة من الانعزال والا مبالاة القسرية، بسبب الحذر من التدخل أو المساهمة بأي حدث يخص الواقع الجمعي. وعاش أبناء المجتمع حالة من التفكك والتحلل من عديد القيم المجتمعية والتواصلية التي تسهم في بنائه ولاسيما التكافلية والخيرية.

كما أن العوز والحاجة خطر على الأخلاق والسلوك؛ إذ تؤثران تأثيراً بالغاً على أخلاق الإنسان وسلوكه، فقد تقود بعض الناس إلى السرقة، أو التسول، أو السطو على ممتلكات الغير بدافع سد جوعاتهم وستر عوراتهم، أو بدافع الانتقام من هؤلاء الأغنياء الذين فضلهم الله عليهم في الرزق، وبخلوا به على أبناء دينهم ومجتمعهم. فضلاً عن هذا فإن الفقر المدقع يلجئ بعض الناس - قصد تحصيل حاجياتهم ومتطلبات أسرهم الضرورية - إلى التلبس ببعض الأخلاق الذميمة، للوصول إلى مبتغاهم، جاعلين نصب أعينهم مبدأ الغاية تبرر الوسيلة، فقد يضطرون إلى الاستدانة والاختلاس والكذب وعدم الالتزام بالعهود، واقتراف كل تلك الخصال الذميمة التي توصلهم لمصدر الغذاء والكساء، مما يؤثر في الأخلاق الفاضلة المنتشرة في المجتمع، بل يقوض أركانها من القواعد، وقد بين الرسول ﷺ خطر الفقر على الفرد، إذ يضطره إلى الاستدانة، وعدم القدرة على الوفاء به؛ بسبب إعساره الشديد، مما يجعله يقدم على ارتكاب بعض الكبائر، والتلبس ببعض صفات المنافقين، كالكذب، وإخلاف الوعد، مما يؤثر في طهارة ونقاوة المجتمع الذي يعيش فيه، فلقد قال ﷺ: ((إن الرجل إذا غرم -استدان- حدث

فكذب، ووعده فأخلف)) (١). ولقد أسهمت ولازالت تلك الجمعيات ولاسيما جمعيتي فعل الخيرات وأم المساكين في تخفيف معاناة المجتمع الموصل في مخيمات النازحين، وبين من عاد أو من بقي بين ركاب أبنية المدينة المهدامة، محاولاً بث روح الحياة من جديد، وإن كان عابثاً لعظم حجم الكارثة التي حلت بالمدينة، حيث لا ماء ولا كهرباء ولا غذاء ولا أبسط مقومات الحياة، ليصل الحال بتدخل الجمعيات بحفر الآبار الارتوازية لسد حاجة السكان والمتعاشين هناك من الماء في تلك الأحياء، أو بتوفير خزانات الماء، أو بوجبات غذائية (أرزاق جافة). تتقل لي الأخت المشرفة على الجمعية من خلال الفيديوهات المسجلة والموثقة بالصورة والصوت، استغاثات تلك العوائل ذات الاعداد غير القليلة والمتكاثرة يوماً بعد يوم، عن حاجتهم إلى حفر الآبار بعد أن يئسوا من استجابة الحكومة والمسؤولين لهم، ولو بأبسط الامور، ليتمثل بإزالة ركاب الابنية المهدامة، مخلفات الحرب من الطرقات الرئيسية والممرات الفرعية للمدينة ولاحيائها السكنية، لمحاولة إعادة انسيابية السير، فضلاً عن عدم توفير أي جهد معاشي أو خدمي آخر.

كما أن من أهم القيم المجتمعية التي أحيتها المؤسسات والجمعيات الخيرية بما فيهم جمعية فعل الخيرات وأم المساكين قيمة المساواة الإنسانية بين أبناء المجتمع، بعد أن فقدت هذه القيمة أيام التسلط الداعشي؛ بسبب تمايزهم لأفراد عوائلهم وتنظيماتهم بكل المعطيات الحياتية العامة والخاصة. فتكرست جهود تلك الجمعيات بإحياء قيمة المساواة بين أبناء المجتمع من خلال الاعطيات والهبات والمنح التي

(١) أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت: ٢٧٥هـ) سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمّد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمي (بيروت، ١٤٣٠ هـ، ٢٠٠٩م) باب الدعاء في الصلاة، رقم الحديث (٨٨٠).

أثر العمل الخيري في تعزيز القيم المجتمعية

الموصل (نينوى) أنموذجاً

أ.د. عبدالستار جاسم محمد

أ.م.د. رحاب نذير محمود

كانت تقدمها لتلك العوائل المكلومة، مع مراعاة الحالات الخاصة أو أعداد افراد الاسر، بطرق إنسانية رفيعة المستوى، مقبولة بين كل الاوساط الانسانية.

ومن هنا نستشعر الدور الريادي الذي تمثلت به تلك الجمعيات الخيرية في تعزيز القيم الاسرية بين تلك العوائل المكلومة، والتي من أهمها قيم الوحدة، والشعور بالكيان المستقل، والإحساس بالإنسانية التي منحها الله لبني البشر، وقيم الاستقرار العائلي والأسري، الذي لا يتحقق شيء منها إلا بتوفير أبسط مقومات الحياة، والذي تم من خلال تلك الجمعيات والهيئات الخيرية التي أحست بحاجة تلك الأسر إلى تفعيل قيم التراحم والتعاطف الذي ينبغي أن يسود المجتمع، ليعم السلام والوئام، والاستقرار المنشود(١).

(١) ينظر: أ.د. عبدالكريم بكار، ثقافة العمل الخيري كيف نرسخها وكيف نعممها، ٢٩.

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمى والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد ...

تمثلت النتائج التي توصلنا إليها من خلال ورقتنا:

ينبغي تفعيل ثقافة العمل الخيري في المجتمع العربي والإسلامي، ومحاولة نشره بين كل أوساط المجتمع وفئاته المختلفة، لمحاولة تنشيط قيم التكافل والتعاون والتراحم التي جاءنا بها ديننا الحنيف في كتاب الله الكريم وسنة نبيه ﷺ.

أدت المؤسسات والهيئات والجمعيات الخيرية التي وجهت عملها نحو المجتمع الموصل بعد خروجه من الكارثة التي حلت به دوراً مهماً في لملمة جراحات أبناء المجتمع، ومحاولة سد حاجاتهم الضرورية، ورفع معنوياتهم المنهارة، وتعزيز قيمهم المسلوقة، ولاسيما جمعيتي فعل الخيرات، وجمعية أم المساكين. على الرغم من كل الجهود المبذولة من تلك الهيئات الخيرية بكل أنواعها، ومحاولة تغطية أكبر قدر من حاجات المنكوبين، إلا أن مدينة الموصل مازالت مدينة منكوبة بكل الصور والأشكال، وكل البنى التحتية منهارة، وغالب الأحياء السكنية بخاصة أحياء الساحل الايمن مهدمة، وماتزال الانقراض تملأ الطرقات، وماتزال هناك العديد من الجثث البشرية تحت تلك الانقراض، ونقص واضح في المواد الغذائية، وشح كبير في المياه ولاسيما مياه الشرب.

تمكنت جمعيتنا فعل الخيرات وأم المسكين من تعزيز قيم الفرد والأسرة، وكذلك القيم المجتمعية، بين أوساط المجتمع الموصل، من خلال عملهم الخيري، وتوجيههم للعوائل المنكوبة بقيم الثبات والصبر والرحمة والتعاطف والقناعة.

يجب على العالمين العربي والإسلامي تفعيل دور المؤسسات الخيرية بشكل أكبر بين أبناء مجتمعاتهم، منطلقين من حض نصوص ديننا الحنيف في كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، على فعل الخير، ومساعدة الآخر، والتكافل الاجتماعي، وبت روح الأمل والتفاؤل في الأوساط المجتمعية. بخاصة أن المنطقة العربية ساخنة بالأحداث الكارثية المتنوعة، والتي هي بأمس الحاجة إلى تفعيل كل وسائل العمل الخيري.

أثر العمل الخيري في تعزيز القيم المجتمعية

الموصل (نينوى) أنموذجاً

أ.د. عبدالستار جاسم محمد

أ.م.د. رحاب نذير محمود

المصادر والمراجع

- ١- إبراهيم مذكور، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة/٢٠٠٨م).
- ٢- إحسان محمد الحسن، موسوعة علم الاجتماع، الدار العربية للموسوعات (بيروت/١٩٩٩م).
- ٣- بوعطيط سفيان، القيم الشخصية في ظل التغيير الاجتماعي وعلاقتها بالتوافق المهني، رسالة دكتوراه علوم في علم النفس العمل والتنظيم، جامعة منتوري - قسنطينة - الجزائر.
- ٤- أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت: ٢٧٥هـ) سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمّد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية (بيروت/١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م).
- ٥- سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، ط ٢ (الموصل/١٤٠٤هـ/١٩٨٣م)
- ٦- سوندر شو-هاردي ومارثا إيه تايلور وبافي بودوان-شوارتر، المرأة والعمل الخيري، جهود نسائية جريئة نحو صياغة عالم أفضل، ترجمة: أميرة أحمد إمبابي، مؤسسة هندوايسيايستي (المملكة المتحدة/٢٠١٧م).
- ٧- عبدالرحمن النحلاوي، التربية الاجتماعية في الإسلام، دار الفكر (دمشق/٢٠٠٦م).
- ٨- أ.د. عبدالكريم بكار، ثقافة العمل الخيري كيف نرسخها وكيف نعتمها، دار السلام (القاهرة/١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).
- ٩- عبدالله ياجهام، الفرق بين العمل التطوعي والعمل الخير، مقال نشر على الانترنت في ٣٠/مايو/٢٠١٣م، احقاف اليوم.
- ١٠- عفيف عبدالفتاح طبارة، الخطايا في نظر الإسلام، دار العلم للملايين (بيروت/ بلا).

- ١١- أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفرائيني (ت: ٣١٦ هـ) مسند أبي عوانة، تحقق: أيمن بن عارف الدمشق، دار المعرفة (بيروت/١٩٩٨م).
- ١٢- محمد ابراهيم الهسنياني، في ظل الاسرة المسلمة، مطبعة الزهراء (الموصل/١٩٨٧م).
- ١٣- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، دار ابن كثير، ط٣ (بيروت/١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).
- ١٤- محمد أحمد بيومي، علم اجتماع القيم، دار المعرفة الجامعية (الاسكندرية/ بلا).
- ١٥- أ. د موفق سالم نوري ، أ.م. د عبدالستار جاسم الحياي، القيم الحضارية في السنة النبوية المطهرة، بحث مقدم لجائزة الامير نايف بن عبد العزيز للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، طبعة خاصة بالجائزة.
- ١٦- المناوي: محمد عبدالرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير من حديث البشير النضير، ضبطه وصححه: أحمد عبدالسلام، دار الكتب العلمية، ط٣ (بيروت/٢٠٠٦م).
- ١٧- أ.د نصر سلمان و أ.د سعاد سطحي، العمل الخيري وأثره في الاستقرار الاجتماعي، بحث نشر في مجلة مداد التابعة للمركز الدولي للأبحاث والدراسات، ٣١/مايو/ ٢٠١٠م.